الفصل الثالث

حياة العائلة المالكة في العراق

◆◆◆

obeikandl.com

obeikandl.com

خطابات التهديد

أيهـــا الخـــائف الحـــذر ... مـــاذا ينفعـــك الحـــذر

يـــوم يأتيـــك القـــدر لا ... ينجـــو مـــن المقـــدور الحـــذر

هذين البيتين الركيكين من الشعر في خطاب تهديدي معنون إلى الأمير عبد الإله وهو مكتوب بخط رديء على ورق عادي موضوع داخل مغلف صغير على مكتب الأمير في البلاط، وتحت هذه الأبيات آية من القرآن الكريم بخط الأمير...﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾.

كان ذلك في أوائل عام١٩٥٧ وكنت يومها ضابط خفر البلاط الملكي أقوم بواجب حراسة مكاتب العرش.

وفي أوائل عام ١٩٥٨ وضعت قطعة من الرخام بطول ثلاثة أمتار وعرض متر واحد، وقد نقش عليها بالخط العربي البديع نفس البيتين الشعريين اللذين أنفذهما صاحبهما، يهدد بها الأمير في السنة الماضية، وبأن الأمير قد أمر بصنع وكتابة الرخامة في إيطاليا لتوضع في واجهة قصره الجديد في منطقة القصور الملكية التي لم يكن قد كمل بناؤها بعد.

أما على واجهة قصره حيث كان يقيم – قصر الرحاب – فقد وضعت رخامة كتبت عليها الآية الكريمة:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران:٢٦].

وهكذا فلم يقدر لأي من الرخامتين أن تظل في مكانها طويلاً... فعندما جاء القدر... تحطمت معه رخامة القصر الجديد.

أما رخامة قصر الرحاب فقد تهشمت واحترقت بنيران الثورة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ وبها انتزع الملك.

فسبحانه وتعالى عزت مشيئته ...

obeikandl.com

القصور الملكية

يشكل الطريق العام المؤدي من قلب مدينة بغداد والمخترق جانب الكرخ... متجهاً إلى حدود مدينة بغداد الغربية حيث يرتبط بطريق بغداد – الحبانية– الرمادي فالحدود العراقية السورية – الأردنية. يشكل هذا الطريق الشارع الرئيسي العام الذاهب من وسط بغداد إلى منطقة القصور الملكية في الحارثية حيث يشاهد القادم بالسيارة إلى بغداد... وقبل أن يبلغ جسر الخر الذي يجري من تحته نهر الخر الراكد ينهض إلى اليمين قصر الزهور المحاط بحدائق واسعة تكاد تحجبه بباسق أشجارها فلا يبين منه سوي قمم قبابه الحمراء الشاهقة. وقصر الزهور هذا قد بناه المغفور له الملك فيصل الأول ليكون مسكناً له، ولكن وافاه الأجل قبل أن يتم بناؤه.

وبعد أن يعبر المار جسر الخر متجها نحو جانب الكرخ في بغداد، وعلى مسافة تبعد أقل من (١٥٠) متراً من الجسر يسمق قصر الرحاب على الجانب الأيسر من الطريق، تفصله عن الطريق العام حديقة ذات أشجار كاليتوس عالية... ثم يكون طريق خاص... وبعده، يجبه نظر الرائي مبني القصر الذي بناه المغفور له الأمير عبد الإله ابن الملك علي بعد أن غدا وصياً على العرش أثر مقتل الملك غازي في حادث اصطدام سيارته.

وكان يشاطره القصر ابن اخته المغفور له جلالة الملك فيصل الثاني ملك العراق. وتعيش معهما، الملكة نفيسة أم عبد الإله وجدة فيصل لوالدته.

والأميرة عابدية أخت عبد الإله، وخالة فيصل، وكذلك الأميرة هيام زوج الوصي عبد الإله.

وكانت الأسرة المالكة الصغيرة هذه قد هجرت قصر الزهور إلى قصر الرحاب، لما أحست به من هاجس الشؤم، إذ مات الملك فيصل الأول قبل أن تحتويه حجراته، ثم قتل ولده الملك غازي والأسرة المالكة فيه، وفيه كذلك وافت المنية الملكة عالية أم فيصل الثاني... وهكذا جانبه ساكنوه ليبتعدوا عن ذكري الموت الذي لف والدي فيصل في طفولته وصباه.

قصر الزهور:

يقع قصر الزهور مواجهاً مباني تكنة الحارثية التي تضم مقر وسرايا معسكر فوج الحرس الملكي الأول، يفصله عنها طريق معبد يؤدي إلى قصر الحارثية ويحيط بالقصر سور عال من ثلاث جهات، أما جهته الخلفية فيلتف حولها نهر الخر الراكدة مياهه الآسنة حيث تتكاثر الحشرات والهوام، ويفصل النهر عن القصر غابة من المزروعات البرية المهملة لم تمتد إليها يد التشذيب. وهذه الأحراش بالذات كانت يومها حديقة القصر الخلفية. أما حديقته الأمامية فكانت موضع العناية والتشذيب.

والقصر ذو طابقين اثنين، يقرب بطراز بنائه إلى شكل القلاع الأوروبية الصغيرة ذات الأبراج المستدقة العالية، وتبدو عليه من الخارج أثار القدم... يريم عليه سكون موحش، مغلق الأبواب والنوافذ التي أرخيت عليه الستائر حتى لا يكاد المرء يتبين معالمه الداخلية من الخارج، وتحدق به من الجوانب والخلف برك طينية من الماء الراكد، ومزروعات برية مهملة.

وقد خففت الحراسات فيه ولم تعد ربايا جنود الحرس تستخدم الأبراج الستة المحيطة بجوانب السور الخارجي، وبقيت أربع نقاط حراسة في كل نقطة خمسة جنود مسلحين بالبنادق لحماية أثاث القصر من اللصوص، وتقع في حد القصر من جهته الشمالية دار غير كبيرة للسينما، وإلى جانبها حوض سباحة صغير محاط بسياج

خشبي، أما المرائب فتقع خلف القصر حيث يربض عدد من السيارات الملكية القديمة، وفي عدادها السيارة التي لقي فيها الملك غازي مصرعه، وقد بقيت كما هي، وكنفوا بتغطيتها بقماش صفيق.

ويشكل الطريق الضيق المنطلق من باب حديقة قصر الزهور متجهاً صوب نهر دجلة، الحد الفاصل بين ثكنات فوج الحرس الملكي والقصر نفسه، حيث يفضي إلى بيت صغير وقديم ذي طابق واحد، مبني من الآجر الطيني يسمي قصر الحارثية. وهذا البيت هو مثابة الملك غازي وقد اعتاد أن يختلي فيه منصرفاً لشؤونه وحياته الخاصة. ويمتد الطريق على شكل منعطف محاذ ساقية ماء بعرض مترين تستخدم لإسقاء المزارع الأهلية المحيطة بالقصر، ثم وعلى بعد ما يقرب من مئة متر، من باب قصر الزهور، يصعد هذا الطريق على معبر صغير اعتلي الساقية المذكورة. وفي هذا المكان بالذات لقي الملك غازي الأول مصرعه عندما انصرف من قصر الزهور متوجهاً بسيارته إلى قصر الحارثية. فجنحت به السيارة منحرفة عن الطريق العام حتى إذا اعتلت المعبر الصغير واتجهت يميناً اصطدمت بعمود النور الحديدي الذي تهاوي على مقدمة السيارة المكشوفة وأصاب جمجمة الملك فحطمها وقتله على الفور.

وبكل الأحوال فإن قصة مقتل الملك غازي في الحادثة المذكورة مازالت سراً من الأسرار لم تمط الأيام اللثام عن حقيقته بعد.

قصة الرحاب:

أما قصر الرحاب فيقع على الجهة الثانية من نهر الخر وعلى بعد حوالي كيلومتر واحد من قصر الزهور، ويفصل ما بينهما جسر حديدي مقام على النهر، حيث يشاهد المار عبر الجسر إلى جهة اليسار لافتة كتب عليها «طريق خاص» ينحدر به

يسرة وينخفض عن مستوي سطح الشارع العام بحوالي المترين حيث يكون أول ما يصادفه، على الجهة اليسري مباني ثكنة – الرحاب – التي تضم مقر وقاعات نوم ومطبخ سرية جنود حرس قصر الرحاب، وإلى الشمال من مباني السرية تقوم اسطبلات الخيول الملكية التي كان الأمير عبد الإله مولعاً باقتنائها وتربيتها.

ويحيط بالقصر من جانبيه الشمالي والغربي بقايا مستنقعات نهر الخر الذي ركدت مياهه منذ زمن طويل، وحال لونها إلى أسود آسن وانقلبت مباءة للحشرات والبعوض. ويفصلها عن القصر أراض متروكة، كانت يوماً ما حدائق القصر، ثم بيعت هذه الأراضي ولم يتبق منها إلا حديقة صغيرة تمتد إلى ما وراء مبني القصر مسافة ٥٠ متراً محوطة بسياج سلكي، تكون حديقة القصر الخلفية.

وتمتد هذه الحديقة إلى جانب القصر الغربي مسافة لا تتجاوز المئة متر بعداً عن أسوار القصر الخارجية التي تفصله عن طريق جانبي خاص، بين قصر الرحاب وقصر السيد عبد الجبار محمود زوج أخت الملك غازي.

وتمتد أمام القصر حديقة صغيرة يتوسطها حوض ماء مستدير الشكل ويشكل الحوض باستدارته طريقاً لدخول السيارات إلى القصر والخروج منه ولم تكن حال حدائق الرحاب من حيث البساطة أو الإهمال بأفضل من حال حدائق قصر الزهور وقد تربعت أمامه أقفاص كبيرة تضم بعض الطيور الجميلة. ويسرح في الحدائق عدد من الغزلان البرية والبجع الأبيض، وصاووس واحد، وفي الحديقة الخلفية قام قفص حديدي توضع فيه أحياناً بعض الحيوانات الكاسرة التي يؤتي بها من شمالي العراق.

حراسة القصور:

تقوم بحراسة القصر سرية مشاه قوامها مائة وعشرون عسكرياً ما بين، ضابط وجندي، وتوزع هذه السرية على ست نقاط حراسة، وعلى رأس كل نقطة حرس

ضابط صف برتبة نائب عريف وأربعة جنود والكل مسلحون بالبنادق، ومع كل واحد عشر طلقات نارية.

ونقاط الحراسة هي: نقطة حراسة مشجب السرية، نقطة حرس الباب النظامي للقصر، نقطة حرس الشرف، نقطة حرس الشمال، نقطة حرس الإسطبل والمرائب، وأخيراً نقطة حرس العرش في أبواب القصر الداخلية.

وفضلاً عن نقاط الحرس هذه كانت تجوب في حدائق القصر ثلاث دوريات، كل دورية من جنديين اثنين متنكبين سلاحهما.

ويقوم بالحراسة الخاصة داخل بناء القصر نفسه رجال الانضباط العسكري الخاص بالحاشية الملكية، وقوامهم حوالي العشرة جنود، وفي عدادهم سائقو السيارات الملكية الخاصة، وهم مسلحون بالمسدسات.

خريطة القصر:

القصر مكون من طابقين اثنين، وهو ذو باب له مدخل واسع نسبياً، يحد الداخل إليه نفسه في بهو صغير يتصدره باب زجاجي لقاعة الطعام. وقد تناثرت في هذا البهو بعض قطع الأثاث، وتتصدره اللوحة الرخامية المكتوب عليها الآية الكريمة: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ ووضع تحتها بعض التحف الصغيرة، وأسنان فيل من العاج الخالص وقفص فيه ببغاء جميلة المنظر.

وإلى يمين البهو قاعة الاستقبال الخاصة بالملك، وهي حجرة رحبة بعض الشيء السفراء أثناء تقديم أوراق اعتمادهم إلى الملك. كما اعتاد البلاط أن ينوط بموظف يرتدي الملابس العربية، ومكتبة على هيئة مضيفة عربية لاستقبال شيوخ العشائر ورؤسائها.

وتقع مباني العرش إلى جهة البلاط اليسري، وتطلق كلمة العرش على مكاتب الملك والأمير، والبناء مكون من طابق واحد على طراز بيوت بغداد القديمة، ذو باب قديم يليه بهو صغير لا يتسع لأكثر من كرسي استراحة، ويتصدره باب ينتهي إلى قاعة اجتماع صغيرة وضع فيها عدد من الكراسي، وخصصت لتكون مقراً لاجتماع هيئة النيابة عن الملك أثناء سفره إلى خارج العراق.

وعلى يمين البهو مكتب الملك وهو غرفة غاية في البساطة على شكل مربع طول ضلعه أربعة أمتار، يتصدرها مكتب الملك وكرسي المكتب المسمي بكرسي العرش، وفي الغرفة أريكة وثلاثة كراسي وعدد من الطاولات الصغيرة، وقد وضعت صورة زيتية كبيرة للملك غازي معتلياً صهوة جواده معلقة خلف مقعد الملك. وأمام المكتب مدفأة رخامية نضدت عليها صور رئيسي جمهوريتي تركيا وباكستان وملكة بريطانيا. ثم صورة الملكة عالية والدته. وفي طرف الغرفة مكتبة صغيرة تضم بعض كتب التاريخ القديمة وقد اعتلتها صورة أخرى للملكة عالية، وصورة للملك حسين عاهل الأردن.

غرفة غاية في التواضع والبساطة مما يصح معه قول أحد الخدم الذين يقومون بالتنظيف بأن غرفة أي مدير عام في الدولة أحسن من مكتب الملك.

أما مكتب الأمير عبد الإله فيقع على الجهة اليسري من البهو مواجهاً لمكتب الملك، والغرفة أوسع بقليل من غرفة الملك، ينسدل على نوافذها ستائر سميكة، تكدست خلفها أعداد كبيرة من الجرائد والمجلات العراقية والأجنبية، وفيها طاقم أثاث جلدي قديم، وفي صدر الغرفة مكتب الأمير، وإلى يمين المكتب باب صغير يفضي رأساً إلى غرفة المرافقين العسكريين، وتتصل غرفة المرافقين بقاعة طعام صغيرة، ثم ممر يؤدي إلى قلب مباني البلاط.

وعلى الحائط وفوق المكتب علقت صورة كبيرة الحجم للملك على والد الأمير، وصورة للملك غازي، وعدة صور للملكة عالية، وصورة للملك فيصل بالملابس العسكرية مع عبارة الإهداء (إلى خالنا العزيز....).

وعلى رف مقابل صورة للملك فاروق ملك مصر السابق، وصورة للرئيس ترومان أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السابقين.

وقد توزعت الحراسات في البلاط الملكي على نقطتي حرس: الأولي في الباب النظامي، والثانية في الباب الخلفي المطل على النهر، ودورية واحدة خلال النهار، ونقطة حرس من جنود خيالة الحرس الملكي المسلحين بالرماح لحراسة العرش حين وجود الملك والأمير في مكتبيها، أما آناء الليل فينسحب حرس العرش من الفرسان لتحل محلهم نقطة حرس نظامية من جنود المشاه المسلحين بالبنادق، وتضاف دورية مشاة ثانية لتجوس ليلاً حدائق البلاط.

الأسرة المالكة العراقية

هذه صورة مجملة عن الحياة في قصر الرحاب ورسم بعض النماذج عن نمط حياة الأسرة المالكة وإلقاء بعض الضوء على شخصيات أفرادها وتصرفاتهم وأحوالهم. وكما قلنا آنفاً فإن من تبقي من الأسرة المالكة كان قد انتقل من قصر الزهور إلى قصر الرحاب ليعيش الملك الطفل اليتيم وجدته لأمه وخالته جنباً إلى جنب، في كتف الرجل الوحيد الذي هو في قيد الحياة من الأسرة في العراق وهو الأمير عبد الإله الوصي على عرش فيصل سابقاً وولي عهده لاحقاً.

لم يكن قصر الرحاب بالقصر البهيج المنظر الواسع الأرجاء، ولم يكن بناؤه تحفة معمارية، وهو بالمقارنة ببيوت الملوك والرؤساء في العالم لا يكاد يكون إلا أحد الأبنية الصغيرة الملحقة ببوابة تلك القصور، كما أن الحياة في القصر تكاد تكون شبه معدمة: فلا حركة ولا أصوات، ولا كثرة زائرين أو وافدين أو مشاهدين، أو سياح، أو طلاب متعة نظر، وإذا كان قصر الزهور أيام فيصل الأول، ومن بعده غازي الأول، ثم الملكة عالية مقصداً لبعض الوفود وأصحاب الحاجات والزوار والضيوف، فإن قصر الرحاب بعد انتقال من تبقي من الأسرة المالكة إليه بات منطوياً على نفسه انطواء ساكنيه على أنفسهم، إذ لم يكن الملك ولا الأمير محبين للفخفخة أو الظهور بمظاهر الملك والسلطان.

ملكة وأميرتان:

وكانت تعيش في القصر ملكة وأميرتان وهن:

الملكة نفيسة: جدة الملك من والدته وأم الأمير عبد الإله. وهي عجوز

جاوزت العقد السابع من عمرها، أبوها الشريف عبد الإله وأمها تركية، لذا فهي تتكلم العربية بلكنة تركية، عاشت هذه السنين الطوال في العراق بعد موت زوجها الملك علي، وهي تشح بالسواد من قمة رأسها إلى أخمص قدميها تحمل سبحة في يدها، دائبة على قراءة القرآن الكريم وتلاوة آية الكرسي، كلما نفخ البوق تحية للملك عند خروجه من قصر الرحاب أو أوبته إليه.

أما الأميرة عابدية : خالة الملك وأخت الأمير فقد ظلت عانساً، وقد تخطت العقد الرابع من عمرها ذات ملامح تحاكي ملامح عبد الإله، وجهها أسمر مائل إلى الصفرة، تحمل في تضاعيفه قسمات ألم دفين، ولا تزينه بأية من مساحيق التجميل...وشعرها اختلط سواده ببياضه، ترتدي الثياب السوداء البسيطة وتقضي جل نهارها في المطبخ تشرف على تحضير الطعام للأسرة، ومحاسبة الخدم على المصاريف والنثريات للقصر. ولكي تشبع عاطفة الأمومة لديها فهي تقوم بين الفينة والفينة بتربية الأطفال اليتامي والقاصرين من الأولاد والبنات إلى أن يبلغوا مبلغ الإدراك. وقد كان في القصر طفلان أحدهما ولد والآخر بنت، يتيما الأب والأم تعهدت الأميرة بتربيتهما، وهي في الغالب لم تحصل على التعليم الكافي، ولا تعدو ثقافتها ما تلقنته من دراسة خاصة في البيت أهلتها للقراءة والكتابة فقط.

أما الأميرة هيام : زوج عبد الإله فهي بنت شيخ مشايخ قبيلة ربيعة التي تقطن لواء الكوت في العراق، ويلقب والدها بأمير ربيعة بدلاً من شيخ ربيعة وهي من أسرة عراقية عريقة أصيلة، تم عقد قرانها على الأمير في عام ١٩٥٣، ويبدو أن الأميرة هيام تأثرت كذلك بالجو الجامد الذي كانت عليه نساء القصر، فانطوت على نفسها وعاشت منزوية عن الناس والمجتمع أيضاً.

ونساء القصر الثلاث محجبات يتسربلن بالعباءة العراقية السوداء من قمة الرأس

إلى أخمص القدمين، ودرجاً على عادة الأسر العراقية فهن لا يختلطن بالحياة العامة، أو مجالس الرجال، أو المجالس المختلطة، والحفلة الوحيدة التي أقامها القصر خلال السنتين، كانت بمناسبة عيد ميلاد الملك وقد دعي إليها جمع غفير من الناس كلهم رجال، ولم تدع أية سيدة إلى القصر، واكتفت الأميرات بأن تسربلن بالعباءات وجلسن في شرفة القصر بعيداً عن الناس يتطلعن إلى الحفل من بعيد، ونادراً ما كن يخرجن لزيارة أحد ولم يكن لديهن معارف من الأصدقاء سوى سيدة أو سيدتين اعتادتا زيارتهن يومياً، والاكتفاء بالجلوس في شرفة القصر، والتطلع إلى الشارع من بعيد، أو التفرج على برامج التليفزيون.

بهذه الحياة البسيطة عاشت الأميرات، لا يعرفن للملك أو السلطان من معنى، بعيدات عن الناس مما أدى إلى ابتعاد الناس عنهن، وليس في تعاملهن مع الشعب أو طريقة معيشتهن ما يحبب الناس إليهن، أو يجعلهم يذكرون أو يتذكرون عنهن شيئاً. وفي السنة الأخيرة من حياتهن زاد انطوائهن على أنفسهم، وندرت زيارة أحد لهن. وعندما أعلنت خطوبة الملك إلى الأميرة فاضلة التركية، صادف أن جاءت إحدى السيدات لزيارتهن، لتبارك هذه الزيجة، فقالت لها الأميرة عابدية بالحرف الواحد: «والله لقد أصبحنا لا نريد الملك ولا نريد العرش... كل ما أريده وأتمناه أن آخذ هذا الشاب وعروسه وأعيش معهم في بيت صغير، لأنعم برؤيته سعيداً بعد أن عاش محروماً من سعادة حنان الأبوين».

الملك فيصل الثاني:

وهكذا عاش فيصل ومات... محروماً ليس من حنان الأم والأب فقط... ولكن... محروماً من السلطة... أو بصورة أوضح محروماً من القابلية لأن يسوس الناس ويمارس السلطان ويملك البلاد.

لقد كان ـ رحمه الله ـ آية في النبل ومكارم الأخلاق... يشرق وجهه الصبوح الوضاح بابتسامة عذبة يواجه بها الشعب في غدواته ورواحاته.. يسيل قلبه الحنون يحب الناس جميعاً فينظر إلى الحياة ومشاكلها نظرة طفل فلا يري فيها إلا كل ما هو جميل وجذاب، لقد كانت مشكلته الأساسية أنه عاش ومات وهو لا يعرف مشاكل الحكم في العراق أو بشكل أدق... لا يعرف العراق.

مات والده وهو طفل فكفله خاله الأمير عبد الإله، وهو وصي على عرشه. وشاءت الأقدار أن يحرم فيصل من أبيه الملك الشعبي الذي عاش جندياً مارس خشونة العسكرية وشظفها، وقاسم الضباط أفراحهم وأتراحهم، فأحبه أفراد الجيش كواحد منهم، ومارس السياسة فغامر بها وألهب حماس الشعب له بوطنيته، وكرهه لبقايا الوجود الإنكليزي في العراق.

وربما لو قدر لفيصل أن يعيش في كنف والده الجندي الوطني الشجاع لكان اكتسب وتعلم منه عشقه مهنة الجندية، وفنه في الاضطلاع بأعباء الملك والحكم.

ولم ترحم الأقدار هذا الطفل إذا ماتت أمه و هو صبي. فشاءت المقادير أن تحرمه من الشخص الآخر الذي كان الشعب يحبه ويقدره. فقد كانت المرحومة الملكة عالية والدته سيدة جليلة الشأن – محبوبة الشمائل، ترعي المؤتمرات النسائية، وتدير المبرات الخيرية. تشارك في الحملة النسائية العراقية لرفع شأن المرأة في المجتمع، لها يوم خاص كل أسبوع يفد فيه إلى دارها عشرات النساء من مختلف الطبقات للتحدث في شئون الدنيا. توزع الخيرات بيدها وتعطي الفلوس للمحتاجين والفقراء وأسر جنود حرس القصر وغيرهم. تطوعت في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ممرضة في إحدى مستشفيات الميدان التي أقامتها الجمعيات الخيرية النسائية إلا أن الموت اختطفها وفيصل ما زال صبياً، فحرمه موت والدته من الحنان

الروحي لأم ذات شخصية شعبية محبوبة، وربما لو قدر لها أن تعيش معه وهو ملك لأثرت عليه في نهجه وسلوكه في الحكم.

عاش الملك صباه في كلية هارو في لندن، وتأثر بطبيعة الملكية البريطانية وكون الملك يسود ولا يحكم، مقيداً بنصوص الدستور الذي يكاد يفقد كل وجوده في شعب كشعب العراق ينظر إلى الحكم من قمته ويحكم على السلطة في رأسها.

تسلم العرش وهو لا يحمل إلا ذكريات صباه عن الحياة السلسلة التي عاشها في كلية هارو في لندن، ولا يعرف عن العراق إلا بالقدر الذي يقرؤه في الصحف البريطانية أو ما تنقله له الحاشية والمقربون.. معلومات هي أبعد ما تكون عن الدقة إن لم نقل عن الصحة، اعتلى عرش العراق وهو لا يعرف أحداً من شعب العراق، أو جيش العراق، واصطفي له ثلاثة أو أربعة من أرق الشباب العراقي عوداً، وأكثرهم ميوعة، ينقلون إليه أخبار المجتمع الناعم وأنباء حفلات أولاد الذوات، وليته عاش عيشة أبناء الذوات، وشبع من الدنيا ولهوها. لقد كان ملاكاً حتى في حياته الخاصة، إذ كان يستيقظ في الساعات المبكرة من كل صباح ليمارس بعض التمارين الرياضية، ليستحم ويتناول بعدها طعام فطوره الذي لا يعدو كوباً من الحليب وبيضة واحدة يشربهما دون أن يتناول معهما الخبز، وفي حوالي الساعة التاسعة صباحاً يغادر القصر متوجهاً إلى البلاط برفقة الأمير عبد الإله في السيارة الملكية تسبقه دراجة نارية لأحد رجال شرطة المرور الذي يفتح الطريق لموكبه، وتتبع سيارته سيارة المرافقين الضباط، وسيارة المرافقين من رجال الانضباط والحرس الخاص، وتحيط بالسيارات الثلاث أربع دراجات بخارية يخصص راكب الدراجة الأخيرة لاستلام العرائض والرسائل التي اعتاد بعض أصحاب الحاجات تقديمها إلى الملك لعرض حاجتهم أو مظلمتهم.

وتملأ ابتسامة عريضة وجهة الوديع، وهو يرد على تحية الشعب بأحسن منها. وباقتراح منه منع مرور الموكب الملكي في شارع الرشيد: الشارع الرئيسي في العاصمة لئلا يسبب تعطيلاً لمرور أصحاب المصالح والحاجات المسرعة، واختار طريقاً جانبية بعيدة عن الحركة والمرور لتكون سبيله من القصر والبلاط وإليهما. وفي البلاط وفي مكتبه في غرفة العرش لا يكاد المرء يري فيها ما يتم عن المسئوليات الجسيمة والأعباء الثقيلة لرجل يقف في أعلى سدة للحكم في العراق.

فالأوراق التي تري على مكتبه لا تتجاوز بضع وريقات عن المقابلات التي سيجريها خلال النهار لبعض الشخصيات، أو مواعيد تقديم أوراق اعتماد السفراء، أو بعض مقررات مجلس الوزراء، أو مجلس الأعمار، ثم لا يلبث أن يعود إلى القصر عند نهاية الدوام الرسمي لدوائر الحكومة في الدولة ليتناول طعام الغداء مع أفراد أسرته على مائدة بسيطة، وغالباً ما يكون الطعام من صنفين اثنين مطبوخاً على الطريقة العراقية باللحم والخضار، وقليلاً من الأرز لا يكاد يتبلغ منه إلا لقماً معدودات.

وقد كان مغرماً بالسباحة أيام الصيف حيث اعتاد السباحة في الحوض الخاص في قصر الزهور يومياً. أما أيام الشتاء فكان يمارس هواية إطلاق النار من بنادق الصيد والمسدسات على أهداف موضوعة في تلة موجودة في قصر الرحاب لهذا العرض.

أما مساء فإنه يذهب مع الزوار لمشاهدة فيلم سينمائي في السينما الخاصة بقصر الزهور، ثم لا يلبث أن يتناول معهم طعام العشاء، في حوالي الساعة التاسعة ليلاً يخرج الزوار لتطفأ الأنوار في غرفة استقباله، ويصل الهاتف إلى ضابط خفر قصر الرحاب بأن جلالته آوي إلى فراشه في حوالي الساعة العاشرة من مساء كل يوم.

ولم يكن في حياته الخاصة يختلط بالناس أو يهتم بانتقاء من يريد أن يصادقهم، أو يتعرف عليهم، وكل أوقاته وزياراته واستقبالاته مرسومة له حسب تقدير دائرة التشريفات الملكية في البلاط، وهو من جانبه لم يكن يطالب أو يرغب بالمزيد من معرفة الناس، لذلك فنادراً ما كان يخرج من القصر إلا بالمهمات الرسمية.

وكانت الحفلة الوحيدة التي يسهر فيها خلال العام إلى الساعات المبكرة من الصباح هي حفلة اختتام فعاليات نادي صيد ابن آوي الذي يرعاه خاله الأمير، ولم يشاهدن من قرب من الخمرة لحظة واحدة في حياته، وتشمئز نفسه من رائحة الدخان واللفائف، فلا يدخن وليست له أية علاقة غرامية أو تصرفات شاذة، أو أية بادرة من بوادر اللهو والصخب التي اعتاد كل الشباب في العالم يمارسوها، ولم يكن قصر الرحاب إلا صومعة ساكنة جامدة لا حركة فيها ولا حياة.

وأثر على نفسية الملك أنه كان مريضاً مصاباً بالربو يشكو من اختلاطات في صدره كلما تعرض للبرد أو الحر، لذلك لم يكن فيصل جندياً عسكري الطبع، وهو بهذه الصفة فقد أهم عنصر من مقومات وجوده على رأس دولة يكون الجيش فيها السلاح الوحيد بيده، والذي يمكن له بعد ضمانه أن يناور به رجال السياسة والأحزاب وطلاب الحكم في العراق، فحتى بالنسبة لضباط حرسه الخاص، فنادراً ما تكلم معهم أو اهتم بأمرهم، أو سأل مستفسراً عن أحوالهم.

وتراه في بزته العسكرية عندما يحضر في مناسبة رسمية، وقد انزوي في أحد الأركان يهمس في أذن خاله أو يتحدث قليلاً إلى كبير مرافقيه العسكريين.

ولم يكن تصرفه أحسن مع بقية الضباط في بقية الوحدات، فعندما يصادف أن يكون حاضراً في إحدي المناورات أو قائماً بزيارة إحدي الوحدات تجده معتكفاً جانباً، وقد وقف يتطلع بوجهه البشوش إلى الضباط الشبان الملتهبين حماسة ونشاطاً

والمتلهفين لتقديم أنفسهم، وعرض قابليتهم، والتكلم مع قائدهم الأعلى، ليجد هؤلاء الضباط الشبان الذين هم في مثل عمر جلالته، ويمكن أن يكونوا أحسن الأصدقاء والزملاء له، يجدون أنفسهم وقد جلسوا بعيدين عنه، وهو يستمع إلى حديث عن آخر أنباء مباريات كرة القدم التي فاز بها فريق منتخب الجيش.

وقد يحكم عليه بأنه غير قادر على الخطابة والكلام، فقد كان في مجالسه الخاصة يتكلم العربية بلهجة عراقية خالصة، ويحاول أن يفخم كلماته لتخرج ملء فمه، وبصوت جهوري نسبياً، إلا أنه سرعان ما يخلط الكلمات والمفردات الإنكليزية بالجمل العربية التي يسوقها لإكمال التعبير عما يريد أن يفصح عنه. وهو بهذا ليس بالمقصر لأنه ليس بقادر على أن يغير ما درسه طيلة حياته من علوم وآداب باللغة الإنكليزية، وكانت اللغة العربية تأتي في المقام الثاني من دراسته. لذلك كان من الطبيعي أن يبتعد عن مجالس الكلام، ومرابع المناقشات والمداهنات والمناورات اللفظية ولغة الديماغوغية السياسية وغيرها من فنون البلاغة والفصاحة.

وعندما كانت بغداد تثور فيها براكين العواطف الوطنية الجياشة أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ قابلة وفد الأساتذة والجامعات وشرحوا له الموقف كله في الجامعات، وعندما أسهبوا في وصف المعارك التي وقع فيها عدد من الطلاب قتلى وجرحى... تكلم جلالته وقال والدموع تترقرق في عينيه...(أعدكم بأنني سأبحث الأمر مع المسئولين عن هذه الحوادث).

وبدلاً من أن يقوم جلالته ببحث هذا الأمر مع المسئولين.. دلف إلى غرفة خاله الأمير عبد الإله وروى له القصة بكاملها.. وكأنه بذلك ألقى عن عاتقه مهمة يعلم سلفاً أنه لن يستطيع الاضطلاع بها لأنها من اختصاص وشئون الملك الحقيقي. الملك غير المتوج (صاحب السمو الأمير عبد الإله ولي العهد).

الأمير عبد الإله:

عندما نتحدث عن الأمير عبد الإله لابد من التوقف لحظة، فالحديث عن هذا الرجل ليس من السهولة بمكان، وقد يكون معقداً تعقيد نفسيته وتعقيد أيام حكمه؛ لأن الرجل حكم العراق ومر بأيام صعبة في حكمه مدة ١٨ سنة تقريباً.

تم اختياره وصياً على العرش وولياً للعهد، واندلعت الحرب العراقية البريطانية في عام ١٩٤١ وهرب ومن معه إلى جانب الإنكليز ثم دخل بغداد من وراء جيوشهم، فأعدم من أعدم من قادة العراق وجيشه، وسجن من سجن منهم، واعتقل الألوف من رجال العراق.

ومن الغريب أنه حتى بعد أن انتكست الثورة التي طوحت به... وما أصاب الثورة بعدها من عثرات، وما ارتكبه رجالها من أخطاء أدت إلى قيام رد فعل نفسي وعقلي معاكس بين أفراد الشعب العراقي...

فلقد ظل الشعب على رأيه في كراهيته للأمير عبد الإله، في الوقت الذي بدأ فيه الشعب يتفهم حقيقة النظام الملكي الذي أدي رجاله خدمات جلي في تكوين العراق وبنائه. وبدأ المواطنون العراقيون يغيرون رأيهم في نوري السعيد، فيرون فيه سياسياً قديراً محنكاً قاد سفينة الدولة إلى ما فيه خير الشعب العراقي.

لقد أدت الأحداث الكبرى في حياته إلى تأصيل وتأجج كراهية الناس له. فلقد ابتدأ حياته السياسية وسط موجة قلق وشك ووساوس تغلي في صدور الشعب، لأن مصرع ابن عمه الملك غازي في حادث السيارة اعتبرها الشعب العراقي جريمة قتل دبرها وشترك فيها عبد الإله، وذهب ضحيتها حبيب الشعب الملك غازي.

جاء عبد الإله إلى وصاية العرش وهو موظف صغير في وزارة الخارجية

العراقية، وكل ما عرف عنه ولعه الشديد بالخيول والمسابقات والمراهنات عليها. وفي ليلة وضحاها ارتقي هذا الأمير الصغير والموظف البسيط سدة عرش العراق دون أن يتوقع أي من الناس ذلك، وسرعان ما أعلن سياسته بأن انضم إلى المجموعة التي كان الملك غازي يناصبها العداء، ويقال : إن انتخابه وصياً للعرش لم يحظ بتأييد مجلس الأمة، وكان الاتجاه العام يميل إلى تعيين الأمير زيد بن الحسين عم الملك غازي ليكون وصياً على العرش، لما عرف عن الرجل من تقوي ومحبة للخير، وبعد عن المشاكل، فضلاً عن كونه جندياً محارباً، وسياسياً عاش أحداث الثورة العربية الكبرى. إلا أن إصرار الملكة عالية أدي إلى أن يقف العميد (الفريق أول) طه الهاشمي قائد الجيش ليعلن لمجلس الأمة بأنه إذا ما تم انتخاب الأمير زيد وصياً فلن يستطيع أن يكبح جماح الجيش، في القيام بثورة، بحجة أن زوجة الأمير زيد تركية.

وهكذا اعتلي الأمير عبد الإله الوصاية على العرش... وكل أصابع الشعب تشير إليه متهمة إياه بقتل غازي.

وبعد عامين بالضبط من وصايته على العرش قام الجيش العراقي بحركة عسكرية ضد القوات البريطانية التي كانت موجودة في قاعدة الحبانية إبان الحرب العالمية الثانية، وكان عبد الإله ترك بغداد والتجأ إلى القوات البريطانية. ثم لم تدم حملة الجيش العراقي طويلاً، إذ سرعان ما تم سحقها ودخلت طلائع القوات البريطانية بغداد، وفي صحبتها الأمير عبد الإله الذي أطبق على خصومه وتربع وصاية العرش ثانية، ومن جديد امتدت أصابع الشعب نحوه متهمة إياه بالخيانة العظمي. وفي عام ١٩٤٨ عندما رجع الجيش العراقي من حرب فلسطين، وقد خسرت بقية الجيوش العربية المعركة، عادت فارتفعت الأصوات من جديد متهمة

إياه ببيع فلسطين.

وعاش الرجل بعدها أحداثاً خطيرة في حياة العراق السياسية والحزبية ومظاهرات الشعب، والاصطدامات ما بين الشعب والشرطة في شوارع بغداد ووقوع عد من القتلي والجرحي.

يقول الملازم فالح حنظل: قدر في أواسط شهر تموز عام ١٩٥٦ أن التحق بلواء الحرس الملكي فسنحت لي بعض الأحداث والظروف المرة والحلوة التي عشتها مع الأمير لأدرس بعض خصائصه وطباعه. مزاياه ومناقبه.. نواقصه وأخطاءه لأكتب تاريخاً صغيراً عن العامين الأخيرين من حياته التي اختتمها بمصرعه وجميع أفراد أسرته في قصر الرحاب، صباح يوم ١٤ ت موز ١٩٥٨.

كنت دوماً وأنا في مجلسه، أطيل النظر والتحديق في معالم وجهه، وشكل جسمه، وطريقة كلامه، وأنا أحاول أن أغور وأسبر نفسية هذا الأمير الذي لاحقته الإشاعات ولاكته الألسن في العراق طويلاً.

كان قد تجاوز الخامسة والأربعين من عمره، إلا أنه يبدو وكأنه في الثلاثين، أسود الشعر، ذو وجه مليح، وعينين واسعتين وحنك مستدق. بشرته حنطية ميالة إلى التورد في الخدين، إلا أن شكل وجهه العام كان يشبه وجوه ممثلي السينما الذين تعهد إليهم الأدوار المكروهة. وكنت دائماً أكرر مع نفسي: لو أن سموه كان نجماً سينمائياً لأسندت إليه أدوار الرجل الشرير، فقسمات وجهه تتسم بالصرامة والقسوة، وهو إذا تطلع إلى أحد فكأنه يسبر أعماقه ويتناهي إلى أغواره. وفي اللحظة الأولى التي شاهدته فيها بعد ثلاثة أيام من التحاقي بالحرس الملكي إذ كنت أقوم بواجب ضابط خفر قصر الرحاب. عندما مر الموكب الملكي أمام ثكنة الرحاب التي كنت أقف ببابها على قارعة الطريق الخاص أؤدي التحية للموكب الملكي، كان أول ما طالعني

وجه الملك، وكله ابتسامة، ونظرة كلها عطف ومحبة، وهو ينحني بجسمه حتى يكاد رأسه يخرج من نافذة السيارة، وهو يرد على التحية. وإلى جانبه جلس الأمير وقد ركز نظراته عليّ وكأنها سهام تريد أن تخترق جسدي، وهو يرفع بصره من قمة رأسي وينزله إلى أخمص قدمي وقد أطبق شفتيه وتغضن صدغاه وزوي ما بين حاجبيه، يطيل الإمعان والتمعن في هيئتي، وبقي يتطلع إلى وهو جالس في السيارة التي كانت تسير ببطء، ورأسه يدور عكس اتجاه السير، أي بالاتجاه الذي كنت أقف فيه إلى أن ابتعدت كلياً عن نظره، فعاد إلى جلسته. وعندما عاد من البلاط إلى القصر حدث نفس الشيء، نفس التحية والنظرة المسالمة عن الملك، وذات النظرة الفاحصة المتفحصة من الأمير.

وكنت قد أبلغت قبل أن أتسلم خفارة الرحاب أو يترك الضباط القصر والثكنة بعهدتي ليذهبوا إلى بيوتهم مساء، أن أكون حاضراً ذلك لأن الأمير قد يخطر له بفي أية لحظة أن يرسل في طلبي ليتعرف علي. هذا وقد أفهموني كيفية التصرف والتكلم في حضرته، وكان الكلام كله منصباً على الأمير، ولم يكن للملك أي نصيب فيه.

وبالفعل، فقد حدث في تلك الليلة، أن الأمير لم يبعث بطلبي من الثكنة إلى القصر، بل جاء بنفسه يتمشى قبل العشاء من القصر إلى الثكنة، وفوجئت به على مسافة أمتار قليلة مني، وعندما كنت أؤدي التحية له كان يمعن للنظر إلى وجهي وقيافتي العسكرية، وعندما لاحظ ارتباكي توجه إلى مقعد موجود في الحديقة، وجلس عليه وأمرني بالجلوس قربه، وقدم لي لفافة، وعلق واحدة بين شفتيه يدخنها بهدوء، وجلسنا نتحدث لأول مرة. ولا مشاحة، بأن المرء – من اللحظات الأولى لمشاهدته – يحكم عليه بأنه رجل عصبي المزاج، متقلب العواطف، من النوع الذي سرعان ما ينفعل، وسرعان ما يهدأ. يتكلم بصوت خافت أجش وبسرعة، لا تكاد

السيجارة تفارق شفتيه، فهو مدخنهم. أنيق بشكل معتدل في ملبسه معتدل الجسم ربعة، أميل إلى الطول، رشيق القوام، ولم تطهر عليه من سمات من قارب الخمسين من العمر، سوي أثر بسيط هو بعض الامتلاء في بطنه، ويبدو شيء من الاحمرار في الجفن السفلي، لكل من عينيه وذلك من أثر الشراب.

وتحمل قسمات وجهه ملامح امرئ تجرع من الحياة حلوها، وذاق بعض مرارتها كذلك، وانتهي إلى الإيمان ببعض الحقائق بالنسبة إلى الشعب العراقي، بحيث أثر إيمانه بهذه الحقائق الصائبة أو المغلوطة حسب ما يقدرها هو بنفسه في الطريقة التي اختطها وحكم بها الشعب.

لم يكن الأمير بعيداً عن الجيش البتة، بل أكاد أجزم بأن لا صديق له في عداد المدنيين سواء أكان وزيراً أو مديراً أو عاملاً. كل أصدقائه من رجال الجيش، وكل مقربيه من الضباط، وتحضرني في هذا المقام أسماء عشرات الضباط الذين حباهم ورعاهم وصادقهم وعاش معهم، سواء من ضباط الحرس الملكي أو من بقية الوحدات، ممن لا أري ضرورة لسرد وقائع صداقاتهم مع الأمير وما آلوا إليه بعد مقتله.

ولم يكن بالإنسان العادي البسيط، فشأنه شأن أغلب رجال الحكم ورؤساء الدول والأمم، غريب في أطواره، عجيب في تصرفاته، وتبدو آية ذلك في اختياره الرجال المقربين إليه؛ أو اصطفائه الرجال الذين يقربهم إلى الملك، والذي كان (أي الملك) لا شأن له بأية حال من الأحوال، أو شكل من الأشكال بهذا الاصطفاء.

فلقد كان الأمير يختار ضربين من الضباط لتشكيلة حرسه ومرافقيه ومريديه الخاصين الذين يعيشون معه ومع عائلته كل ساعة من ساعات النهار تقريباً، فهو دائماً يضم مجموعتين، مجموعة من أحسن وأشد الضباط قابلية وعلماً وضبطاً،

ومجموعة أخرى من ضباط يحار المرء في تقدير سبب إعجاب الأمير بهم واختياره إياهم.

فقد يكون أصدقاؤه ضباطاً أمثال عارف عبد الرزاق وناظم الطبقجلي وجسام محمد الشاهر وهم من ضباط الجيش العراقي اللامعين، كما تجده من الناحية الثانية، وقد اصطفي ضابطاً آخر معروفاً في كل أوساط الجيش بأنه يعاشر امرأة يهودية.

وهو في كلا الاختيارين بتصرف تصرفا طائشاً، إذ سرعان ما يجد هذا الضابط الصديق الجديد نفسه، وقد انتقل فجأة من حياة ضابط عادي إلى حياة أقرب ما تكون إلى حياة الأمير نفسه، فيحيطه بمظاهر الملك والفخفخة والسفرات والرحلات إلى خارج العراق، وقضاء الليالي الطوال مع الأمير وصحبه، ثم لا يلبث الأمير أن يختار ضابطاً آخر كصديق ليمرره بنفس البرنامج الملكي الذي مر به سلفه، والذي أخذ هذا السلف يشعر بأنه أصبح صديقاً من الدرجة الثانية ثم الثالثة، ثم ينقل فجأة إلى وحدات الجيش ليعود إلى ممارسة خشونة الحياة العسكرية من جديد.

هكذا كان شأنه... أن أحب أحداً رفعه في ليلة وضحاها إلى القمة، ثم لا تلبث أن تخبو جذوة الحب والصداقة في قلبه لينزله مرة أخرى إلى طبيعته الأولى، وهي الحضيض عنه إذا ما قورنت بالأيام الحلوة التي عاشها مع الأمير.

ولهذا، فلم يستطع الأمير أن يجمع حوله مريدين وأصدقاء صدوقين. فهو، فضلاً عن كونه يفتقر إلى بعض الصفات الأصيلة في القيادة والرئاسة، لم يكن بقادر أن يستقطب حول شخصيته الضباط، بحيث يحوز إعجابهم ويسلب إرادتهم بكونه صاحب مقدرة عسكرية أو عقلية علمية أو حتي كلامية. وغالباً ما كان يعتقد بأن الفرد العراقي بسيط، وأن أحسن وسيلة لجمع القلوب حوله أن يظهر في مجالسه

الخاصة بمظهر الرجل البسيط غير المتعالي أو المتغطرس، وهكذا تجده في بعض أمسياته معنا، قد انقلب إلى إنسان جديد غاية في الانشراح والبساطة والكرم... يغني ويصفق معنا، ولا يكف عن المزاح وإلقاء النكات، وتدبير المقالب المضحكة لنا. وقد حدث في احدي المرات أن جلب جلد دب وألبسه أحد رجاله من ذوي الأجسام الضخمة، وأدخله ليلاً إلى غرف الضباط النائمين في الثكنة، وهو «يسخسخ» ضاحكاً من مناظر الفزع والخوف والركض بملابس النوم خوفاً من هذا الدب القادم إليهم في منتصف الليل!.

ولما كان السفر والترحال محباً للإقامة في ربوع أوروبا لقضاء فصل الصيف والعطل، فإن زمرة الضباط الذين كانوا من مؤيديه، وحتى الذين يرغبون في التزلف إليه والتقرب منه، فحافزهم لذلك رغبتهم في الاستمتاع بنعيم هذه السفرات الخلابة، وليس تقرباً من المسئولية أو حباً لخدمة عقيدة أو مبدأ معين؛ إذ لم تكن لأهداف الأمير السياسية أو الوطنية أو القومية طريقة متميزة لكي يشرحها أو يدرسها أو يلقنها مريديه ومصطفيه من انضباط، بحيث تكون له مدرسة فكرية أو سياسية أو عسكرية معلومة.

وهو حتى في لقاءاته معناً منفرداً أو جماعياً، أي عندما توجد مشكلة سياسية، والحقيقة أن لقاء جماعياً بضباط الحرس الملكي لمناقشة قضية خطيرة لم يحدث إلا مرة واحدة وذلك في قضية الملازم كمال مجيد ضابط الحرس الملكي الشيوعي (والتي سيرد تفاصيلها في الفصل القادم)، فهو لا يتكلم إلا بضع جمل ثم يلبث مستمعاً أو يتصرف فجأة، وقد صادف أن جمعتني الظروف الخاصة بأول تماس بين تشكيلات الضباط الأحرار... والحرس الملكي، فكنت في مناسبات عديدة قد اجتمعت به منفرداً لبحث هذا الموضوع الخطير، فكان في الغالب يظل مستمعاً، ثم لا يلبث أن

ينبس ببضع كلمات تبدو في نبراتها، وكأنه زهق من الحديث وأصابه الملل... وهي إشارة إلى بالانصراف.

لم يكن الرجل بالمتكلم المفوه والخطيب البليغ... كان يتكلم العربية بلهجة عراقية تشوبها مسحة خفيفة من لهجة حجازية، لا يكاد المرء يلتقطها إلا إذا أطال الإصغاء إلى حديثه.

وكما قلنا: كان سلاحه الوحيد في استمالة قلوب الرجال إليه هو ظهوره بمظهر البساطة؛ لأن علاقاته الشخصية معنا كانت في الغالب الأعم تتم على أساس النكتة التي كان يلقيها في ساعات مرحة، وبساطته، ولين عريكته، وانفتاح قلبه. لذلك يمكن القول بأن ضباط الحرس الملكي لا يتذكرون عن الأمير مآثر أو وقائع معينة اللهم ما عدا الساعات المرحة الحلوة التي كانوا يقضونها معه وهو في أوقات انشراحه.

وهو لكونه رب العرش الفعلي لم يكن يهمل ضباط حرسه، بل تكاد عيناه النفاذتان تتغلغلان في أغوارهم، فلا يفوته ـ مثلاً ـ أن يرسل في طلب أحد الضباط لأنه لاحظ بأن هذا الضابط لا يحمل شريط أحد الأوسمة على صدره، أو يوقف سيارته ويقل فيها أحد الجنود، ويطلب من آمر فوج الحرس الملكي معاقبة آمر سرية، أو فصل هذا الجندي السيئ القيافة غير اللائق الهندام.

إلا أنه رغم ذلك، كان يخطئ أحياناً في تصعيد النوعية التي يقربها إليه من الضباط، وككل البشر لابد أن يخطئ في اختيار صديقه، ولعمري أو بقي حياً لشاهد بأم عينيه كيف أنه لم يكن يحب أو يرغب ببقاء المرحوم النقيب ثابت يونس، وأبقاه مرافقاً بالوكالة ولم يسند إليه منصب مرافق أصالة بحجة أن النقيب ثابت جاف الطبع، جدي أكثر من اللازم، بل حدث أن قابل أحد الملازمين من أمراء الفصائل

في الكلية العسكرية فاستلطفه، وبنفس اليوم صدرت الأوامر بنقله مرافقاً عسكرياً خاصاً للأمير، وأدخله برنامجه الحافل فجأة دون أية مقدمات، وفي صباح يوم ١٤/ تموز/ ٥٨ وعندما أطبقت قوي الثورة على القصر، كان ثابت يونس يقدم نفسه شهيداً، وهو يذود حتى آخر لحظة عن الواجب المكلف القيام به أما المرافق الأصيل فقد اختفي في داره ثم لم يلبث أن صب كل ما في قاموس اللغة من شتائم على الأمير والأسرة المالكة عندما جلب للتحقيق معه.

ويبدو الأمر أكثر غرابة في ابتعاده عن بعض أهله، فقد كان لا يحب السيد عبد الجبار محمود زوج أخت الملك غازي، والذي كانت داره تجاور قصر الرحاب ويمر من أمامه نفس الطريق الخاص. وكانت الأوامر قد صدرت بمنع القاصدين دار عبد الجبار من المرور أمام قصر الرحاب.

كما أن أحد أقاربه من الشرفاء تخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٥٥ وتطوع لصنف خيالة الحرس الملكي، فلم يرض الأمير بهذا، بل أبعده إلى إحدي الوحدات خارج بغداد وأبقاه هناك بحجة أن هذا الضابط يسمع ويري بعينه تحركات ضباط الوحدات ضد العرش، ويحاول أن ينقلها للأمير... كان يقابل في الكثير من المرات بأن يوقد الأمير إليه أحد رجال انضباطه الخاص ليطرده بصورة لبقة من القصر.

لم يكن الأمير بالكريم السخي المفتوح اليد والجيب، وكثيراً ما كنا نسمع من ضباط الحرس القدامي بأن الأمير تغير كثيراً، فبعد أن كان يغمر الضباط بهداياه ومنحه، وبخاصة عندما يرجع من إحدى سفراته إلى خارج العراق، إلا أنه أصبح في السنين الأخيرة لا يكترث بالهدايا والمنح، ولم نكن نحن ضباط الحرس ننعم بأي امتياز في الراتب أو المخصصات أو الكيفية أو الوضعية عن بقية ضباط وحدات الجيش. وإذا كان القصر على أيام الملوك السابقين محجاً ومقصداً للمحتاج والجائع

فقصر الرحاب كان يوزع مبلغاً من المال لا يتجاوز الثلاثة أو الأربعة دنانير على عدد من الفقراء يفدون صباح كل جمعة إلى القصر. وأسبوعاً بعد أسبوع قلت المنحة هذه، وانقطع المعوزون عن الحضور؛ لأن ما يحصلون عليه لا يكفي أجور السيارة ومتاعب النقل من قلب المدينة إلى قصر الرحاب.

وأما المرة الوحيدة التي تسلم فيها جنود الحرس الملكي هدية من القصر فكانت في إحدى مناسبات وجود الوحدة كلها في الإنذار، فأمر الأمير بتوزيع تفاح على الجنود جيء به إلى القصر من شمالي العراق، فكانت حصة كل جندي... تفاحة واحدة.

وكان البلاط الملكي ومكتب الأمير في مباني العرش... هو مكتب ملك البلاط الفعلي إذ لا يكاد أحدنا يدخل صباحاً غرف العرش في انتظار تشريف الملك والأمير، إلا وجد على مكتب الأمير أكداساً من الرسائل والمظاريف المختومة والمعنونة بكلمة سري أو مكتوم أو خاص وكلها واردة من دوائر رئاسة أركان الجيش أو الاستخبارات العسكرية أو الأمن العام والملحقيات والسفارات الخارجية. أما منهج المقابلات فيكون عادة حافلاً بالأسماء والألقاب والمناصب؛ ولذا فإن واجبنا في حراسة مكاتب العرش كان منصباً على حراسة مكتب الأمير، أما مكتب الملك فلا شأن لنا به لعدم وجود ما يستأهل الاهتمام. وما أن ينتهي الدوام إلا وجدت أكوام أخرى من الرسائل تكدست بأيدي المرافقين لتؤخذ إلى القصر، وامتلأت المدفأة ببقايا عشرات الرسائل المحروقة والمتلوفة. أما منفضة الدخان أمامه فتكاد تطفح ببقايا اللفائف التي دخنها خلال ساعات الدوام.

أما عندما نكون في قصر الرحاب، فيقتصر زوار الملك على الاثنين أو الثلاثة من أصدقائه الخلص على حين أن زوار الأمير هم في الغالب من كبار الضباط والوزراء

والمسئولين عن المخابرات والأمن العام وغيرهم، مما يدل على أن الأمير لم يكن يقضي وقته عبثاً، بل يكون ليله كذلك حافلاً بالأحداث والأوامر، وتستمر أحياناً الزيارات إلى ساعة متأخرة من الليل بحيث لا تنتهي المقابلات إلا ونحن نتنفس الصعداء بانتهاء الواجبات الأساسية في القصر.

ولم يكن بخاف على الأمير أنه غير محبوب من الشعب العراقي، وفي إحدى جلساتي الخاصة معه، عندما أحيل على التقاعد أحد ضباط كتيبة خيالة الحرس الملكي، بعد أن تواترت الأنباء عن كونه شيوعياً. قال لي: لقد حاولت أن أعدل أمر هذا الضابط عدة مرات، وفي كل مرة كنت أرقيه من رتبة إلى رتبة أعلى بعد أن أبعث بطلبه وأحدثه بأن الاستخبارات العسكرية لم توص بترفيعه إلا بأمر مني... إلا أن هذا كله لم يردعه.

ثم أردف قائلاً: «شأن هذا الضابط شأن الشعب العراقي.. اعمل الخير لهم.. ولا تطلب جزاء أو شكوراً.. بل اعمله وكأنك ترميه بالشط».

وحدث مرة أن أطلق أحد ضباط الشرطة النار على بعض 'لسكاري في أحد ملاهي بغداد، وتبين أن الضابط كان سكران كذلك. فلما استجوب أدعي بأن السكاري أخذوا بسب وشتم الأمير مما حمله على أن يسكتهم برصاص مسدسه.

ولما تبين كذب وادعاء هذا الضابط، وأن الحادث لا يعدو أن يكون قضية خمر ونساء، بعث الأمير في طلبه واستجوبه بنفسه.

ولما انتهي الضابط من حديثه قال له الأمير: «اسمع يا بني... أنا أعرف بأنني مكروه، ومهما فعلت للعراقيين فأنا مكروه منهم... ولو أردت أن آمر بإطلاق النار على كل من يكرهني ويسبني لاستنفذت رصاص رجال الشرطة كافة...!.

وحتى عام ١٩٥٦ لا يمكن القول بأن الأمير كان خائفاً أو متوقعاً حركة ما في

الجيش؛ رغم أنه يمكن اعتبار عام ١٩٥٦ العام الذي تمخضت خلاله حركة الضباط الأحرار في الجيش، بل يمكن القول بأنها أبلغت صوتها إلى مسامع الأمير.

فعندما كانت بغداد تغلي بالحقد على النظام الحاكم كله.. كانت كافة وحدات الجيش توضع في الإنذار، وكان حديث الضباط حتى في وحدات الحرس الملكي يدور حول معارك الجيش المصري في تصديه لقوى العدوان، وفي حين كان الحديث يسري همساً بين ضباط الحرس الملكي: تري ما هو موقف حكومتنا من الحرب القائمة في مصر؟ كان يدور علناً في بقية الوحدات العسكرية، ويصرح به باتهام الحكومة العراقية بالوقوف ضد مصر في حربها.

إلا أن الأمير لم يكن مهتماً أو فائقاً ما يدور حوله من أحاديث لأنه في إحدى ليالي تلك الأيام العصبية أراد أن يرفه عن نفسه وعن الضباط؛ فألبس أحد حراسه قناعاً مخيفاً وجاء به ليلاً إلى وحدات الحرس الملكي يطرق الأبواب على الضباط ليفزعهم منظر الحارس المشوه الوجه... و«يسخسخ» الأمير ضاحكاً ملء فيه.

قد يكون السبب في تفسير تصرفات الأمير وتبرير أخطائه أن اهتمامه مشدود بشكل خاص نحو العراق ومشاكل الحكم في العراق، وأنه كان على الدوام يتلقي المعلومات الخاطئة أو المنحرفة عن أحوال الشعب ومشاعر الناس تجاهه أو تجاه الأحداث والوقائع السياسية، بحيث تبني لنفسه فكرة أن أي اضطراب سياسي في العراق إنما هو مجرد موجة عنف غوغائي لا تستند إلى أي مطلب سياسي معقول.

ففي نفس المناسبة السابقة، أي أيام العدوان الثلاثي على مصر وما رافقه من أحداث بغداد الدامية، كنا نحن زمرة ضباط الحرس الملكي للبلاط في الثكنة، وصدف أن فتحنا موضوع العدوان على مصر، فانبري آمر سرية حراسة البلاط، وهو أحد أصدق أصدقاء الأمير يقول: لقد كنت أمر مع سريتي يوم أمس في أحد

الشوارع عندما هجم علي الأطفال وهم يصرخون: عماه...هيا أهجم على الإنكليز... وأردف قائلاً: إننا كلنا مع مصر في حربها ...بل إن الشعب كله مع مصر في محنتها... وفي مساء اليوم التالي صادف أن زارنا الأمير الذي بدأ عابس الوجه، مقطب الأسارير، وبدت نبرات صوته تغشوها العصبية والانفعال عندما قال:

«أن سمعت بأنباء المظاهرات في بغداد... هذول المتظاهرين ايش إيردون...؟» قالها وهو يتطلع إلى وجوهنا...يريد الجواب منا..!

فانبري المقدم آمر السرية قائلاً: «ايش أيريدون سيدي.. ما هم إلا زمرة تريد السلب والنهب والتخريب.. لا شيء غير السلب والنهب والتخريب!».

وسكتنا كلنا...وغرق الأمير في تفكير عميق.

وكانت الشائعات الغرامية، وأخبار العلاقات الجنسية قد لاحقته طيلة أيام حكمه وحياته، فقد تزوج وطلق مرتين قبل زواجه الثالث والأخير.

وقد قيل الكثير عن علاقاته ببعض بنات العائلات في بغداد. وارتبط اسمه بقضية زواج من فتاة إحدى الأسر الكريمة أثارت لغطاً في المجتمع، كما أوشك في إحدى المرات أن يتزوج فتاة إنكليزية...إلا أنه اضطر إلى التراجع تحت ضغط أصدقائه.

ولا ينكر أن بعض تصرفاته الشخصية كانت من أهم الأسباب في إثارة القيل والقال عنه، فالرجل يكاد مدمناً على الخمرة يحب السفر ويطيل البقاء والإقامة في ربوع أوروبا وغيرها من البلدان، وقد بقي أعزب مدة طويلة؛ مولعاً بسباق الخيول والمراهنات، واقتراض المال من مالية دوائر الوقف، كما ساهم بتأسيس شركتين صناعيتين. ناهيك عن أن هيئته ومنظره العام بوجهه الجميل ونظراته الثاقبة القلقة – مخترقاً بسيارته الملكية شوارع بغداد – لا يكاد حتى شبح ابتسامة أو نظرة حب

وحنان ترتسم على وجهه، وهو يرد التحية متثاقلاً على من يحيه هذا الوجه.. وهذه الهيئة.. وهذه التصرفات.. لا يمكن أن يفسرها أحد من الشعب يكون صاحبها قديساً طاهراً أو إماماً صالحاً...

كان الرجل كهلاً قارب الخمسين من عمره.. استقر وتزوج فتاة من أكرم الأسر العراقية، وقد رافقت الأمير شخصياً في سفره خارج العراق، وغالباً ما عشت قريباً من بيته، إلا أنني - والحق يقال - لم أر أو أسمع أو ألمس منه ما يشينه كما أن أقرب أصدقائه ومن زاملوه في أيام شبابه ولهوه وسفره.. لم أسمع منهم عنه ما يزيد عما يفعله أي إنسان عادي في شبابه ومنصبه وسلطانه.

قد يكون الرجل قد بلغ من العمر ما أتعبه، وعب من المتعة ما أرواه، ونال من الملاذ ما كفاه، أو قد تكون الأيام أيام الألم والقلق بالنسبة إليه فعام ١٩٥٧ كان عام القلق والحيرة في حياته.. كان كل ما حوله يرجي إليه بالقلق، وكل ما يحيط به يشح في كيانه بليلة أفكار الحائر المحتار. فكان إن جلس وحده أطرق في صمت عميق، وأن تجرأ أحدهم وأحدث صوتاً قطع عليه سلسلة أفكاره وعميق تيهانه... هب... وكأنه استفاق من حلم.

أما ما تبقي من صبابة أيام حياته من عام ١٩٥٨.. فكانت أيام الوداع بالنسبة إليه.. ولست أدري لماذا كان يخيل في كل من يخرج فيها من قصره أنها ستكون آخر مرة أشاهده فيها... كان كل ما فيه من ابتعاد وانطواء وعلامات هم قاتل وألم دفين.. توحي بقرب نهايته.. وأكاد اليوم أجزم بأن الرجل كان يبدو كأنما هو عارف وشاعر في قراره نفسه بأنه انتهي.

لقد أطبقت عليه كل القوى من جميع الجهات... وفشل في كل المحاولات لإنقاذ ما تبقي له قد يظن أو يعتقد بأنه كان يريد أن يعرف مصيره بعد أن تسلم فيصل

العرش، وأوشك على الزواج الذي سيثمر ولياً للعهد غيره. في اعتقادي أن الأمير لم يكن متلهفاً متهالكاً على الحكم.

إلا انه سبق له أن تنازل عن الحكم أثر اضطرابات بغداد عام ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموت، إذ أنه جمع كل رؤساء الأحزاب والمعارضة والأصدقاء، وكان قبلها قد اتصل بالسفير البريطاني في بغداد، ليكتب للمجتمعين بيده ورقة تنازله عن الحكم، وليعلن لهم ذلك، ويترك لهم الأمر في اختيار من يريدونه ملكاً أو رئيساً للبلاد.

ولكن لعن الله التزلف والتملق... وأكل المال السحت الحرام... إذ هب الكل عدواً وصديقاً بوجهه ليقولوا له.. بأنه قدر العراق ومن أولى به حامل راية النبي محمدﷺ.. ملكاً في أرض الرافدين.

أما في الأشهر الأخيرة من حياته.. فلقد تلقي الطعنة من أصدقائه وأركان حكومته السياسيين الذين زاملوه كل حياته... فلقد اتصل نوري السعيد بأحمد مختار بابان الذي كان رئيساً لوزراء العراق – أيام وحدة العراق والأردن – وأبلغ السعيد بابان بأن وجود عبد الإله في العراق يعقد الكثير من الأمور للتوصل إلى حل للمشاكل القائمة.

وأبلغه أن يقنع عبد الإله بمغادرة العراق سفيراً في لندن أو واشنطن أو أي مكان يختاره لإقامته في العالم، مع منحه مبلغ نصف مليون دينار ليعيش فيها طيلة حياته.

فلما فوتح الأمير بالأمر هذا.. رفضه.. رفضاً قاطعاً. وأعلمهم مستهزئاً ساخراً بأنه لن ينفذ مطلبهم. وباعتقادي شخصياً بأن رفض الأمير ذلك المطلب لم يكن متأتياً عن كونه يريد البقاء على عرش العراق.. كلا أبداً.. وإنما لكونه يتوقع، ويعلم في قرارة نفسه بأن هناك حدثاً أكبر من هذا سيحدث على تراب الوطن.

وإن خروجه من بغداد وترك الأمور بيد فيصل. سيكون كمن يترك قنبلة بيد طفل. لقد كان يريد للدمل المتقيح أن ينفجر ويخرج هو وفيصل وأهله دفعة واحدة.. ونزوحاً لا عودة له بعده إلى العراق...!

لقد كان أقرب من نوري السعيد إلى الجيش.. وأكثر منه معرفة بمحاولة الثورة التي سيقوم بها الجيش.

ففي شهر حزيران من عام ١٩٥٨ وهو الشهر الأخير من حياته.. دخل عليه ضابط استخباراته الخاص المقدم محمد الشيخ لطيف، وقدم له ملفاً يحتوي أسماء وتنظيمات كل الضباط الأحرار والانقلابين الذين يدبرون الثورة في العراق.

وقرأ الأمير كل الأسماء التي وردت في الملف.. والتي ضمت العديد من ضباط رافقوه فترات من حياته، سواء في وحدات الحرس الملكي، أو مرافقيه ورائديه السابقين كما ضم الملف اسمين أو ثلاثة لضباط يعتبرهم الأمير من أصدقائه الخلص. بل إن أحدهم كان يقضي معه أمسيتين أو ثلاث أمسيات كل أسبوع.

وبعد أن أطلع على الأسماء والتشكيلات صفق الملف ورماه أمامه على المكتب وقال: «أن غالبية هؤلاء الضباط أصدقاء له، وأنهم – ولا خلاف – عرفوه جيداً، وأيقنوا أنه غير صالح لحكم العراق، وأردف قائلاً... «أما أنا فعلى علمي بأن هؤلاء الضباط جميعاً وطنيون ومخلصون.. وقد يفيدون العراق أحسن مني.. فإن كانوا لا يريدونني فأنني أترك وفيصل معي العراق».

قال هذا.. وقام من مكانه وترك غرفته ليتمشي وحده ليلاً في الشارع المعتم الممتد أمام قصره، ووقف على جسر الخر يتطلع إلى المياه السوداء ويبدو أنه كان يتخيل اليوم الذي يوفد إليه هؤلاء الضباط وفداً يطلب إليه مغادرة العراق، فينصاع فوراً لطلبهم الذي كثيراً ما راود فكره ومخيلته.. فيترك العراق ومعه فيصل وبقية أهله كما

ترك الملك فاروق أرض الكنانة.

وقد تكون أخطاء الرجل كثيرة في إدارة حكم عضوض كالحكم في العراق. وقد قيل الكثير عن أخطائه التي أدت إلى نهايته البشعة المعروفة.. لكن السؤال الذي طالما افتعل ما هي علاقة الأمير بالملك وهل كان لعبد الإله يد في جعل فيصل تمثالاً جامداً يتصدر قاعة العرش؟

يمكن القول بنعم ويمكن القول لا

نعم... لأن الأمير رباه ورعاه أباً وأماً له .. رباه بعيداً عن الشعب، بعيداً عن الجيش، بعيداً عن العراق كله.

ولم يحاول بعدها أن يعيد فيصل إلى الشعب، بل أبقاه على طبيعته المنطوية المنزوية.. والأرجح أنه يمكن القول..لا.. لأن الأمير لم يكن بقادر على أن يغير ما في فيصل، هكذا شاءت إرادة الله عز وجل أن يكون فيصل.. رقيقاً.. ضعيفاً.. مريضاً غير قادر على الحكم واضطلاع بالمسئولية.

لقد كان عبد الإله يناديه باسمه المجرد أمامنا. ويناديه بسيدنا أمام الغرباء. ويصدف أحياناً أن أكون جالساً مع الأمير؛ وإذا بالملك يفتح الباب علينا ليطل فجأة، فكان الأمير لا يحادثه إلا واقفاً على قدميه.

ولم يحظر الأمير علينا البتة التكلم مع الملك بالسياسة أو شئون الشعب والجيش كما تقول الشائعات.. لسبب بسيط.. هو أن الملك لم يكن ليتحدث بها إلينا أو معنا، بل لم يصدف مطلقاً طيلة السنتين اللتين قضيتهما في القصر أن طلب الملك حضوري أو حضور أحد الضباط لمواجهته، بصورة شخصية، أو التكلم معه بأي شأن من الشئون.

يتحدث الملازم فالح حنظل عن اللحظات العصبية في حياة الإجراءات له وفي الساعات العصيبة التي قضيتها مع الأمير نتناقش بمواضيع الثورة المقبلة في الجيش، وعندما كان الملك يفاجئنا بالدخول لم يكن ليكلف نفسه عناء الاستماع أو المشاركة بالحديث أو إبداء الرأي.. أو حتى الجلوس معنا. كان كل ما يقوله كلمتين أو ثلاث عن مواعيد الغد، ثم يغادر الغرفة.

فهل كان في مستطاع عبد الإله أن يغير التكوين الفسيولوجي الجسماني والعقلي لابن أخته؟ ويدعم رأينا هذا أكثر مقارنة فيصل بابن عمه جلالة الملك حسين عاهل الأردن.. فكلاهما من بيت واحد، ومن نسل الملوك أباً عن جد.. وكلاهما عاش عيشة أولاد الملوك، وتسلما العرش في عمر واحدة وسنة واحدة تقريباً.

فهبة من الله عز وجل أن يخلق الحسين رجلاً للحرب.. والسياسة.. و الحكم، وشاءت عزته أن لا يخلق فيصل كذلك.

هكذا كانت حياة الملوك في العراق.. وهكذا كانت قصورهم وبلاطهم. والحديث عنهم لا يتطلب إلا صفحات قليلة.. ووريقات صغيرة.. صغر حياتهم.. وقلة أخبارهم.. وندرة أفعالهم. اللهم إلا عبد الإله و الحديث عن هذا الرجل، قد يتطلب عمقاً إلى عشرين عاماً قضاها ملكاً وحاكماً في العراق ليستطيع المرء أن يفهم ويفسر تصرفات السنتين الأخيرتين من حياته.

كانت الأيام تمر مسرعة قائمة على قصر الرحاب الهادئ الخامل المعتم.. فعندما تنحدر الشمس مائلة للمغيب.. وتصحو بغداد الفرحة الراقصة على الصخب والضجيج والمباهج والملاهي، وتبقي ساهرة حتى الصباح وسط جو من البهجة والحبور.

كان القصر قصر الرحاب تخمد فيه الحياة إيذاناً بمغيب الشمس ويجلله حو

خانق كأن بومة فرشت عليه جناحيها السوداوين.. وتباشر أنوار القصر بالانطفاء اعتباراً من الساعة العاشرة، ولا تبقي إلا أنوار الحدائق، وقد طوف حولها سرب كثيف من البعوض والحشرات التي تعيش نهاراً في مستنقعات نهر الخر المحيطة به.

وفي أول أيام شهر حزيران من عام ١٩٥٨ جيء القصر بحوالي عشرين طاووساً انتشرت بحديقته الصغيرة وقد فرشت أجنحتها تمشي فيها بتيه واختيال، تضفي على الحديقة زاهي الألوان بمؤتلف هذا الريش.

وتطلق هذه الطيور الجميلة أصواتها القبيحة.. كصرخة تطلقها امرأة فزعة ملتاعة ويتشاءم أهل بغداد من هذا الطير الجميل منظراً والقبيح صوتاً، ذلك الصوت الذي يشبه صرخات الموت التي تطلقها نساء بغداد في موكب جنازة. ويعتبرون وجوده في أي دار شؤماً على أهل الدار.. وبعد انقضاء ٤٥ يوماً على وجود هذه الطواويس في القصر.. حل الشؤم على الدار ومن فيها قتل الملك والأمير وأسرته ومن معه.

مات عبد الإله وهو يحمل إن حقاً وإن باطلاً أوزار وآثام الحكم وقديماً قيل «الحكم مفسدة».

ومات فيصل .. لذنب لم يقترفه، وجريمة لم يرتكبها.. مات وفي بغداد همهمة على الشفاه.. وحسرة ودمعة في قلوب وعيون الأمهات والعذاري على فيصل.. الشاب.. البريء.. اليتيم الأبوين.